

الكشاف

" أجنئنا لنعبد إله واحد " أنكروا واستبعدوا اختصاص إله واحد بالعبادة وترك دين الآباء . في اتخاذ الأصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه وألغا لما صادفوا آباءهم يتدينون به . فإن قلت : ما معنى المجيء في قوله : " أجنئنا " قلت : فيه أوجه : أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله ﷺ بحراء قبل المبعث فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوه . وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن إله تعالى لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا : أجنئنا من السماء كما يجيء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض لذلك والقصد كما يقال : ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا : أقصدتنا لنعبد إله واحد وتعرضت لنا بتكليف ذلك ؟ " فأتنا بما تعدنا " استعجال منهم للعذاب " قد وقع عليكم " أي حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم . جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع . ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك . وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي . فقال له يا بني مالك ؟ قال : لسعني طوير كأنه ملتف في بردى حبرة فضمه إلى صدره وقال له : يا بني قد قلت الشعر . والرجس : العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب " في أسماء سميتموها " في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة . ومعنى الإلهية فيها معدوم محال وجوده . وهذا كقوله تعالى : " ما تدعون من دونه من شيء " ومعنى " سميتموها " سميت بها من : سميته زيدا . وقطع دابرهم : استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم . وقصتهم أن عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت . وكانت لهم أصنام يعبدونها . صداء . وسمود والهباء فبعث إلههم هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك إلههم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى إلههم تعالى الفرج منه عند بيته المحرم مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العمالق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أمثالهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتنم إسلامه . فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان . قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال : قد هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحي أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين . فقالتا : قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله . فقال معاوية : .

ألا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل ا يسقينا غما ما .

فيسقي أرض عاد إن عادا ... قد أمسوا ما يبينون الكلاما .

فلما غنتا به قالوا : إن قومكم يتغوثنون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم

فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد : وا لا تسقون بدعائكم ولكن إن

أطعتم نبيكم وتبتم إلى ا سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية : احبس عنا مرثدا لا يقدمن

معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما

كنت تسقيهم فأنشأ ا تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء .

يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال : اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد

لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم

فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا ا فيها حتى ماتوا . فإن قلت : ما

فائدة نفي الإيمان عنهم في قوله : " وما كانوا مؤمنين " مع إثبات التكذيب بآيات ا ؟

قلت : هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كأنه قال :

وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين

ونجى ا المؤمنين